اسماء جبال تهامة

تأليف : عرّام بن الاصبغ السلمي [1]

لنشر هذه الرسالة قصة نجملها بأن الشيخ ابراهيم الخربوطي مدير مكتبة (شيخ الاسلام) في المدينة (المتوفى سنة ١٣٧١ هـ) زار الهند في عام ١٣٥٧ فرأى العلامة المحقق الشيخ عبد العزيز الميمني عضو المجمع العلمي العربي يقوم بنسخها . فساعده في مقابلة ما نسخه على الأصل ونسخ هو نسخة أتى بها الى الحجاز . ولما مر بجدة نزل في ضيافة السري المفضال السيد محمد حسين نصيف وأطلعه على هذه النسخة فاستنسخها الشيخ نصيف وأطلع عليها كثيراً من المعنيين بالعلم من علماء وغيرهم . فمنهم من نسخها ومنهم من استفاد منها . وكان ممن نسخها على نسخة الشيخ نصيف الشيخ سليمان الصنيع . وقد بذل جهداً مشكوراً في تصحيحها بمقابلة ما جاء فيها على معجم البلدان ومعجم ما استعجم وغيرهما من الكتب . إذ نسخة الشيخ الخربوطي كثيرة التحريف والغلط زيادة على ما في الأصل من ذلك . ولما زار مصر أطلع الأستاذ محمد عبد السلام هارون على أمر هذه الرسالة لكي ينشرها في مجموعته من الرسائل النادرة . وبعث اليه بعد أن عاد من مصر بنسخته ولكنه لم ينشرها بل قال في مقدمة المجموعة الثانية من (نوادر المخطوطات) ص ١١٦ : «وكنت قد اعتزمت أن أنشر في هذه المجموعة كتاب عرّام بن الأصبغ السلمي في أسماء جبال تهامة .. ولكن علمت أن العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي قد قام بنشر هذا الكتاب ، فآثرت أن أؤجل صنعه إلى أن أطلع على نسخته» .

---

(١) تحقيق : عبد السلام هارون الأستاذ المساعد بجامعة القاهرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما الشيخ الميمني فقد نشر الرسالة ـ كما ذكر الاستاذ عبد السلام ـ نشرها في مجلة الكلية الشرقية التي تصدر في مدينة لاهور في الباكستان (Oriental College Magazine) بعد أن وضع لها مقدمة وصف فيها الأصل وتحدث عن مؤلف الرسالة وأشار الى شيء من خبر المكتبة السعيدية التي وجدت فيها.

وقد أراد الشيخ محمد نصيف نشر هذه الرسالة ـ لأنه لم يطلع على ما نشره الشيخ الميمني ـ فبعث بها الى (المجمع العلمي العربي) فأرجعت اليه وقيل له : ينبغي أن يقوم بتصحيحها فلان ـ كاتب هذا المقال ـ فبعث بها اليّ ولكنني رأيت تحقيقها تحقيقاً مفيداً يتطلب الحصول على صورة عكسية من الأصل (فتوغرافية) وأبديت للشيخ نصيف عدم صلاحية نسخته للنشر قبل مقابلتها على الأصل مقابلة دقيقة . فبعث بها الى الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني ـ وكان إذ ذاك في الهند من القائمين على نشر الكتب التي تطبعها دائرة المعارف العثمانية في (حيدراباد) ـ فقابلها على الأصل مقابلة دقيقة . ونسخ نسخة أخرى عن الأصل بعث بها الى الشيخ نصيف . وبمقابلة تلك النسخة ظهر أن نسخة الشيخ الخربوطي كثيرة التحريف والغلط . ثم رأى الشيخ محمد نصيف أن يقوم بنشر الرسالة وأن يتولى نشرها الأستاذ عبد السلام هارون ، وكانت الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية قد بعثت الى الهند السيد محمد رشاد عبد المطلب ليصور بعض المخطوطات العربية النادرة . فكان مما صوّر أصل هذه الرسالة . وقد حرصت حينما كنت في القاهرة على الاطلاع على النسخة التي صورتها الادارة الثقافية ولكنني لم أتمكن من ذلك مع ما بيني وبين السيد محمد رشاد من الصلة ـ التي أعتبرها أنا قوية ـ وقد تكرم فأعارني نسخة من النسخ التي طبعها الأستاذ الميمني . وقد اتصلت بالأستاذ الجليل الشيخ محب الدين الخطيب وتحدثت معه في موضوع نشرها ولكنه قال ان الأمر يتطلب وجود نسخة من الأصل . ولعل الله أراد لهذه الرسالة خيراً ـ باحيائها وتحقيقها من علامة محقق ذي خبرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ودراية وطول معاناة هو الأستاذ عبد السلام هارون . وليس لنا من عتب نوجهه الى اخواننا في مصر الذين قد تحول ظروفهم الخاصة دون اطلاعنا على ما نرغب الاطلاع عليه من الكتب التي لنا حق الاطلاع عليها ـ وخاصة مخطوطات الادارة الثقافية ـ نعم ليس لنا من حق في عتبهم فلعل لهم من العذر ما نجهله . غير أننا نعلم ـ كما يعلمون ـ ان التعاضد والتساند والتآزر في سبيل العلم أمور يجب أن تقدم على كل اعتبار .

وأما كلمتنا عن الأستاذ عبد السلام ـ في تحقيقه لهذه الرسالة ـ فهي تحوي شيئاً من الاختلاف معه في شأن التحقيق . وهو اختلاف ما كنت أودُّه ، إذ الاختلاف شرٌّ في جميع وجوهه . غير أن واجب العلم يقضي به . لقد قلت في كلمات نشرت في (الرسالة ومجلة المجمع العلمي ومجلة الفتح ومجلة الحج) ان بعض اخواننا الجامعيين كالأستاذ مصطفى السقا والأستاذ الدكتور زكي محمد حسن قاموا بتحقيق بعض المؤلفات أو ترجمتها قياماً لا يتناسب مع ما لهم من منزلة علمية رفيعة . وخشيت أن يكون ما قيل من أن بعض العلماء المشهورين يكتفي بوضع اسمه على المؤلف الذي يراد منه تحقيقه ويكل الأمر الى بعض اخوانه ممن لا يبلغون منزلته ـ خشيت أن يكون هذا حقاً . أما الأستاذ عبد السلام فأنا أبرئه من هذه الوصمة لأنني شاهدت من آثار عمله في تحقيق بعض المؤلفات القديمة ما لم أشاهده من كثير ممن يعنون بذلك .

وكنت أود أن أجد في هذه الرسالة ما وجدته في غيرها من الكتب التي حققها أو أكثر مما وجدته ، غير انني ـ وإن رأيت فيها ما يسر ويفيد ويمتع ـ رأيت كل هذا قليلاً بالنسبة لما كنت أتوقعه من الأستاذ . ولكي أدلل على قولي يحسن بي أن اذكر بعض ما رأيته في حاجة الى مزيد من العناية .

لم يشر الأستاذ عبد السلام الى أن العلامة الميمني نشر هذه الرسالة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والأمانة العلمية والاعتراف لكل ذي حق بحقه يقضيان بعدم اخفاء مجهود هذا المحقق الذي لا يجهل باحث في الأدب العربي ماله من أيادي في سبيل تحقيق كثير من الكتب الأدبية ولا ينكر ماله من فضل وعلم . ولا أكون مبالغاً حينما أقول بأن جهده في تحقيق هذه الرسالة لا يقل عن جهد الأستاذ عبد السلام ان لم يفقه . فاليمني مثلاً أوضح من حالة عرام وبيّن عصره فذكر انه من أهل القرن الثاني وأول الثالث وانه ممن دخل خراسان مع عبد الله ابن طاهر سنة ٢١٧ هـ وهذه من الأمور التي فاتت الأستاذ هارون وهي أمور لا بد منها . إذ معرفة المؤلف من أهم ما يعتني به محقق الكتاب . قد يقال بأن الأستاذ يجهل كون اليمني قام بتحقيق هذه الرسالة ولكن هذا يرده أمور :

١ — انه صرح بعلمه بذلك قبل شروعه في تحقيق الرسالة .

٢ — ان السيد محمد رشاد عبد المطلب الذي قال الأستاذ هارون بأنه أوصاه باحضار نسخة مصورة من أصل الرسالة فأحضرها ، قد أحضر في الوقت نفسه نسخة من تحقيق اليمني .

٣ — انني نشرت في الرسالة في العام الماضي نبأ نشر الأستاذ اليمني أثناء نقدي لطبعة السقا لكتاب (معجم ما استعجم) — وليس عبد السلام ممن يوصف بأنه لا يقرأ مجلة (الرسالة) وهو ممن يكتبون فيها .

هـذا الأمر — تجاهل الناشر لما يقوم به من سبقه في سبيل تحقيق ما يقوم بنشره — مما أخذ على الأستاذ السقا وأخذ على بعض العلماء الجامعيين — وكنا نود أن يتنزه عنه الأستاذ عبد السلام هارون .

٢ — قال الاستاذ عبد السلام في مقدمة الرسالة : (أصل هذه النسخة فريدة في مكتبات العالم . وهو مخطوط في دار الكتب السعيدية بحيدراباد في مجموعة برقم (٣٥٥ حديث) وتاريخها يرجع الى سنة ٨٧٦ . والنسخة في ست ورقات (أي في اثنتي عشر صفحة) . كذا قال الأستاذ . ولكننا نجد الأستاذ اليمني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حينما وصف الرسالة قال : (يوجد في الخزانة السعيدية في حيدراباد مجموعة فيها ٣٧ رسالة في الأحاديث والرجال . أولها خلق افعال العباد للبخاري ووافق الفراغ من كتابتها في ١٨ جمادى الأولى سنة ٧٨٦ وثبت على طرة الخاتمة (بلغ مقابلة على الأصل المنقول منه في مجالس آخرها في ليلة يسفر صباحها عن يوم الخميس من ذي الحجة الحرام سنة ٧٨٧ كاتبه محمد بن علي ...) . ولكنه مع هذه الدعوى الفارغة آية في التصحيف والتحريف ورقم كتاب عرام فيها ١٦ فيما بين ص ١٥١ ـ ١٥٩ أي انه وقع في تسع صفحات فحسب) هذا ماقاله الأستاذ الميمني وهو يخالف وصف الأستاذ عبد السلام في تاريخ النسخ وفي عدد الصفحات . فأيهما أصح قولاً ؟ الظاهر أن الميمني هو المصيب ، وان الاستاذ عبد السلام نقل تاريخ النسخ من نسخة سليمان الصنيع ، وهو نقلها عن نسخة أصلها نسخة الخربوطي التي جاء فيها التاريخ كما ذكر الاستاذ هارون ، غير ان الشيخ نصيف لما بعثها الى الهند لتقابل على الأصل كان مما صحح هذا الموضع ، صححه الأستاذ عبد الرحمن اليماني كما جاء في نسخة الأستاذ الميمني . يضاف الى ذلك ان الانموذج الذي نقله الأستاذ مصوراً في نسخته ليس فيه شيء عن تاريخ النسخ مع انه آخر الرسالة . فالظاهر ان الذين صوروها صوروها وحدها وهي خالية من التاريخ فاعتمد الأستاذ عبد السلام على ماجاء في نسخة الأستاذ الصنيع وهو غلط .

٣ ـ وضع الأستاذ عبد السلام في أول الرسالة صورة للجزيرة العربية وقع فيها بعض الغلط فقد جاء فيها (وادي الشربة) والمعروف من كتب المعاجم أن الشربة أرض تقع بين وادي الرمة ووادي الجريب وليست وادياً بالمعنى المعروف . ووضع الأستاذ اسم (حنين) غرب (بدر) بينه وبين البحر . والمعروف ان اسم حنين عند المتقدمين ـ وهذه الصورة وضعت لكتاب قديم ـ يعني به الموضع الذي حدثت فيه وقعة حنين وهو بين مكة والطائف بعيد عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

موضع حنين الذي رسمه الأستاذ . ولعل منشأ غلط الأستاذ وجود موضع آخر بقرب بدر يطلق عليه اسم حنين . يرد ذكره في الكتب التي تصف طريق الحجاج من مصر الى الحجاز .

٤ — للأستاذ العذر في جهل بعض المواضع التي لم يسر فيها ولم يجد من النصوص ما يوضح مواقعها توضيحاً تاماً . ولكن ما عذره في جهل الكلمات اللغوية — وهو اللغوي الذي عانى نشر بعض المعجمات اللغوية — ونعني بالكلمات ما نجده ما نجده متداولاً في معجمات اللغة المطبوعة ؟ في صفحة ٥٥ ما هذا نصه : (وامعا وهم بكون السن) وعلق الأستاذ قائلاً : كذا وردت هذه العبارة في الأصل . ولو رجع الى كتب اللغة لوجد ان الامعاء هي أمكنة تجتمع فيها المياه وتبقى مدة طويلة وإذن فالجملة هي : (وامعاء وهو ماء يكون السنين) . وهكذا وردت هذه الجملة فيما نقله السمهودي في وفاء الوفاء (ج ٢ ص ٣٣١) عن عرام .

وفي ص ٧١ (عتاقا سيرها نسل لنسل) ونقل الأستاذ عن الحموي (سرها نسلا) وعن البكري (سيرها نسلا) مع انها في الأصل (سربا نسلا) ولم يذكر الأستاذ نص الأصل والكلمة لا تحتاج الا الى اعجام فتصبح (شزبا) أي ضمرا . وقال الأستاذ في حاشية ص ٧٤ (اطلاق العمود على الهضبة لم تعرفه معاجم اللغة) كيف هذا وصاحب تاج العروس يقول (ج ٢ ص ٤٣٢) : وعمود البان وعمود السفح جبلان طويلان لا يرقاهما الا طائر يعلوهما . من ذلك قولهم : العقاب يبيض في رأس العمود . والمراد به الجبل المستدق المصعد في السماء . كذا قال صاحب التاج في تفسير العمودين اللذين نفى الأستاذ في الكلام عليهما معرفة معاجم اللغة اطلاق اسم العمود على الهضبة .

وورد في صفحة (٦) هذه الجملة (والوشل ماء يخرج من شاهقة لا يطورها أحد ولا يعرف منفجرها وليس شيء من تلك الأوشال يجاوز الشقة) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والكلمة الأخيرة بالشين بعدها قاف مشددة . وقد ظنّ الأستاذ أن المقصود بها اسم موضع فراح ينقل عن البكري كلاماً طويلاً في تحديده وهو كلام لاصلة له بتلك الكلمة ولا محل لايراده . اذ الكلمة على وجهها الصحيح (الشفة) بالفاء بعد الشين لا بالقاف . أي ان هذا الماء قليل جداً وهذا التعبير (لا يجاوز الشفة) يكثر استعماله في كلام العرب ولا يزال مستعملاً في عهدنا هذا . يقولون (هذا الماء لا يزيد على الشفة) . ويقولون (هذا ماء ماشية وهذا ماء شفة) يقصدون بالأول الماء المدّ الذي يروي الماشية من ابل أو غنم ، وبالثاني الماء القليل الذي لا يزيد على ريّ الوارد من الناس .

(يتبع) الرياض — محمد الجاسر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net